بأشهى أصناف اللحوم دائماً.

ويبدو أنّ السيّد السالك قد وضع لمساته الدرامية على النّص، وأقنع السيد سرسوقة بأن ينتج المسلسل بنفسه. وهكذا فوجئتُ ذات صباح بالحارة التي أسكنها وقد تحوّلتْ إلى استوديو.. وبدّل «أبو فوزي» اسم دكّانه من «الخل الوفي» إلى ملحمة «تي في» ووقف خلف الرفّ، وبيده الساطور يمثّل أحد الأدوار الرئيسية في العمل.

**

عُرض المسلسلُ في دورة شهر رمضان، وقد اختارت دائرةُ التنسيق في التلفزيون أفضلَ الأوقات لعرضه. وأشاد مدير الدائرة، الذي عرف مذاقَ لحومات «أبو فوزي» الشهيّة، في تقريره عن المسلسل بالصبغة الواقعية المحضة التي تفوح من العمل، وبعناصر البيئة التي استطاع إبرازها بغنى وتميّز لافتين.. مشيراً إلى هذا التطابق النادر بين مهنة «الكاتب» والأجواء التي تدور فيها أحداث العمل!

وأمام إلحاح «أبو فوزي» المتكرّر، وإدماني على كتابة النقد التلفزيوني، لم أتمالك نفسي من الكتابة عن العمل.. بل شعرت بقدر غير قليل من الحماس حين أثنى جارنا العزيز على كتاباتي الصّحفية، وعلى نقدي «المعدّل» للمسلسلات الهابطة كما يقول.

صباح اليوم التالي لصدور المقالة في الجريدة، فوجئتُ بالسيّد سرسوقة، يعترض طريقي، خارجاً من محلّه، والشررُ يتطاير من عينيه. بادرتُه بابتسامتي الودودة المعتادة، وألقيتُ عليه تحيّةَ الصباح فلم يردّ... بل نظر إليّ شَزْراً، وقال بنبرةِ غضبٍ واضحة:

– أستاذ... بعد بكرة بينتهي عقد الإيجار... معك مهلة أسبوع لتسلّمني البيت... يا ريت تشوف حدا غيرنا!

حاولتُ أن أستفسر من السيّد فتحي سرسوقة عن السبب، فلم يترك لي مجالاً لذلك. وحين لحقتُ به إلى الدكان، كان السيّد سهيل السالك يجلس في أحد أركانها، وبيده الجريدة... لم يفاجأ حين رآني، بل رفع رأسه بأستاذية الكبار، وألقى عليّ تحيّة الصباح بهدوء وودٍّ شديدين.

حين خرجتُ من الدكّان، متابعاً طريقي إلى الجريدة، كان صوت «أبو فوزي» يلعلع في الحارّة. وكانت آخرُ عبارة لامستْ أذنيَّ قبل أن أصل المفترق:

«واللّه شغلة... قاعد بحضننا وعم ينتفْ بدقنّا... قالْ: نَقد... قالْ!!».

**

منذ أسبوع وأنا أحاول العثور على بيتٍ جديدٍ للإيجار... صديقي الذي قرّر استضافتيَ في بيته تقديراً لأوضاعي الإنسانية الصعبة، يعكف على إنهاء مسلسله التلفزيوني الأوّل. وبدافع الفضول اطلّعتُ على بعض حلقاته... ولا أعرف ماذا أفعل الآن.

سوريا

٨ قصص قصيرة جداً

حنون مجيد

١ - ملل

هو لا يحب التصفيق. بيد أنّه، لنزوة طارئة، ابتاع منحوتة لكفين تصفقان وعلّقها على الجدار. منحوتة صغيرة ذهبية اللون، الكفان فيها رشيقتان رقيقتان، كلّما التفتَ نحوها الفاهما تصفّقان بهمس جناحيْ طائرٍ ثملٍ بالطيران.

ذات مساء، عاد إلى بيته فلم يجدْ من المنحوتة غيرَ حطام أسفلَ الجدار.

وتوجّس الآخرون، لكنّه أجاب:

– لا حزن.. لقد اعتراهما الملل، فكفّا عن التصفيق.

٢ - نزوة صغيرة

يقطع شارعاً عريضاً يربط بين مدينتين متجاورتين. تواجهه أعمدةٌ كهرباء نُصبتْ حديثاً، غُرزتْ أطرافُها السفلى في حفر مناسبة مُلئت بكتل كانت ماتزال طَرية من السمنت.

يقع بصره على قاعدة أحاطت بعمود بعد أن صُقل سطحها جيِّداً، وارتفعتْ قليلاً عن مستوى الرصيف. كان السطح أملس ناعماً تنتاب خضرتَه الدكناء لمعةٌ زعفرانية شديدة الاصفرار.. سطح أخضر مستو تماماً لامع أحياناً مثل ورقة نبات كبيرة طريّة خضراء. يقترب منه.. يمسح بنظره جوانبَ الشارع المقفر من النّاس.. يقترب أكثر.. يُطلّ عليه إطلالةَ طفلٍ على فوهة بئر.. يهتزّ جسده الكبير وتضطرب أطرافه.. يتلكّأ كثيراً أو قليلاً قبل أن يرفع قدمه عن الأرض ويطبعها عليه.

تنطبع صورةُ أسفل الحذاء المحزز أفقياً وكذلك صورة الكعب المحزَّز عمودياً.. تغمره فرحة صغيرة.. فرحة صغيرة غامضة تطفو على سطحه، وهو يرى صورة حذائه منطبعةً على السطح السمنتي نظيفةً غير مشوّهة.

يسحب نفسه بهدوء. ثم يواصل طريقه مسرعاً للأمام. هناك تمتد الأعمدة معه على طول الطريق، عموداً بعد عمود، تطالعه على سطوح قواعدها، التي مازالت طريّةً، آثارُ أقدام صغيرة لأطفال وقطط وكلاب.

٣ - لحم ازاء لحم

في سير متتابع حثيث، مضى ماسحاً الرصيف بنظرات زائغة متشمِّماً أرضه بلهفة غير مألوفة. وأطلّ عليه.. كان دكاناً

لقصّاب يحرّك اللحم المنتشر في عمقه وعلى واجهته سيولُ اللعاب.. وقف أمامه.. شاهد صاحبه منشغلاً بتقطيع بعض كتل اللحم.. دنا منه.. استنشق رائحة اللّحم فتداعت في نفسه أقصى رغباتها، فتوتّرت أذناه وتقوّس ذيلُهُ واختلجتْ عضلاتُ جسده وانشدّتْ قوائمه. وقبل أن يفعل أمراً ممّا كان يختلط في رأسه الصغير، استدار القصّابُ فالتقتْ عيونهما جاحظةً حمراء كأنّ بينها موقداً من نار.

نفض القصّاب يدَه التي تحمل السكّين للأعلى، فلم يتزحزح بل مكث مسمّراً في مكانه مثل تمثال أبيض لوّثتْه أمطارٌ سود.

حين همّ القصّاب بالتقدّم نحوه ملوّحاً بالسكّين ذاتها، أدرك صعوبةَ موقفه فخطا آخر خطواته متراجعاً وهو يهبط الرّصيف..

كان النهار رائقاً، والصباحُ في أوّله، والسيّارةُ القادمة مجنونةً.

٤ - تعاقب أحوال

لأمر ما ذوت الشجيرة الصغيرة التي لم تكن أزهرتْ بعد. تساقطتْ أوراقُها وانحنتْ ساقُها انحناءةَ مَنْ يُسلم نفسَه للموت.

بعد أن يئس صاحبها العجوز من استقامة أمرها، أسندها إلى أخت لها قريبةٍ منها وصار يرقبها من آن لآن.

لم يمض وقت طويل حتى راحت ساقُها تسترد بعض عافيتها وتنفصل تلقائياً عن الشجيرة الأخت وتستقيم من جديد.

وبينما كانت هذه تنتعش وتورق مرّة أخرى، ذوت للأمر ذاته أو غيره أختُها: انطوت أوراقها وانتكستْ ساقُها وانحنت الانحناءَ الذليل.

وكما فعل بادئ الأمر، فقد أسندها هي الأخرى إلى أختها وطفق ينتظر مجرى الأمور.

كلّ صباح يجلس العجوز قبالة الشجرتين المتآخيتين، يرقبهما بنظر حالم وقلبٍ عَطوف، فتتراءيان له في تشابكهما المثير: أختين طفلتين، معافاةً تُسند عليلةً، وعليلةً تنام على كتف معافاة، في.. تعاقب أحوال.

٥ - مرآة

انتصبتْ أمام مرآتها.. تطلّعتْ إلى نفسها فيها، فهالها أن تجد زجاجَها لا يعكس إلاّ صورةً وَطِئتْها الأيامُ وشوّهتْ معالمها.

تساءلتْ بهمس مذعور عمّا يمكن أن يكون وراء ذلك. فنفذتْ بنظرة ساخطة في العمق الكامن خلف الزجاج المعتم والصورة المشوّشة، تبحث عن صورتها الجميلة. كان يؤلمها أن تجد مرآتها تعتّم بهذه الطريقة القاسية صورتها، فلا تفصح إلاّ عن شبح رمادي يغوص في عمق زجاجها.

وفجأة تهشّمت المرآة.. تحوّلت إلى شظايا وقطع صغيرة مبعثرة ملأتْ مساحةَ غرفتها. ولم تعرف كيف انسابت العروقُ إلى وجهها فتهاوى نثاراً تحت قدميها، غير انها وهي تخلف وراءها هشيمها وتغادر غرفتها، راحتْ تعترف وبمرارة عميقة أنّ مرآتها تلك كانت جاحدةً بحق، وأنّها تستحق ما جرى لها.

٦ - (...) في سوق عميان

عثرتْ قدمُه بها فانزاحتْ قليلاً، وكاد يتجاوزها لولا أنّه افترض في مرونةِ ثقلها ما يغريه بالتقاطها: ثقل محبّب، ليس هو ثقل الحجر، قال. ثم أضاف: كما أنّه ليس ثقلَ الحديد.

وانحنى انحناءة «البصير»، وأرسل يده تتلمّسها حتى التقطها. ومن دون وعي منه قرّبها من عينيه وأذنيه حتى إذا لم يعرف عنها شيئاً استكان إلى صعوبة معرفتها فتركها لأصابعه تمسك بها.

وفي «سوقه» هناك حيث يجتمع مع أقران له وأصدقاء، أطلق سراحها. فتناولتها الأيدي بالفحص والتدبير، فأحاطتْ بإطارها الدائريّ أصابعُ وأصابعُ، وزحفت على جسدها الصقيل أكفٌّ وأكفٌّ، ثم إذا انتقلتْ من ذهن إلى ذهن ومن بصيرة إلى بصيرة انكشف لبعضهم سرُّها، ثم تفشى بين الجميع أمرُها، فبرموا بها ورموها جانباً حيث يقبع سقطُ متاعهم ملفّعاً بالغبار. فإذا مرّ مستطرقٌ ممشوق وراها هناك ترنو بعين بلورية رمداء نحو من يرى نفسه فيها، تغنّى وقال:

- يا ضيعة المرآة....

٧ - العبد

كلّما ضاق بحمله، وعد وتوعّد وقال: «الآن وليس بعد الآن». غير أنّه في خضم تلاحق أيّامه ينسى أو يتناسى ما سبق أن قال، واستثقل ما كان فكّر به أو نوى عليه. حتى إذا اشتدّ الثقل على ظهره وتواثبت كرّة أخرى توعداته وحانت فرصته، ارتعدت فرائصه وخارت قواه، فبسط ظهره وعدّل من حمله عليه، واستحمل وتحامل وقال: «غداً وليس بعد غد» وتابع سيره المهين.

٨ - مقايضة الكاتب

رمى كتابه جانباً وألقى بأوراقه.. ولكي يخفّف ما صار يجتاح قلبه من ألم فظّ، تناول من قنينة زجاج صغيرة قرصاً أبيض وضعه تحت لسانه واستسلم لما سوف يعصف برأسه من ألم شديد...

قال: ألم بألم، ولكن مع حرمان هذه المرّة من كتابة على ورق أو قراءة في كتاب.. تلك هي إذن مقايضة الكاتب في آخر المطاف.

بغداد